جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى وجعل لكم مع غناه المطلق
من الجبال اكنانا جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت
المنحوتة فيها وجعل لكم اي منا منه عليكم سرابيل جمع سربال من قميص
او درع او جوشن او غيره اي وسوا كان من صوف او كتان او
قطن او غير ذلك تقيكم الحر ولم يقل تعالى والبرد لتقدمها في قوله
تعالى لكم فيها دفء وقيل انه اكتفى باحد المتقابلين وقيل كان المخاطب طبور
بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم الى ما يدفع الحر
فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن اصوافها واوبارها
واشعارها وسائر انواع الثياب اشرف الى انه ذكر ذلك النوع
لانه كان انعامهم بها اشد واعتيادهم للبسها اكثر ولما كانت السرابيل
نوعا واحدا لم يكن بجملتها قال وسرابيل اي دروعا من حديد و
غيرها تقيكم باسكم اي حربكم اي في الطعن والضرب فيها وقد عدد
الله تعالى انواع نعمه قال كذلك اي كاتمامه هذه النعمة المتقدمة
يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق
النجاة والمنافع والتنبيه على دقائق ذلك لعلكم يا اهل مكة
تسلمون اي تخلصون لله الربوبية وتعلمون ان الله لا يقدر على هذه
الانعامات احد سواه وقيل انه تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا فلم يقبلوا منك وآثروا اللذات الدنيا ومتابعة الاباء في
العادات في الكفر فانما عليك البلاغ يا افضل الخلق المبين هذا
جواب الشرط وفي الحقيقة جواب الشرط محذوف اي فلا تجهد
عن ذلك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب
الفعل وهو الابلاغ السابق على المسبب وذلك لان تبليغه سبب في
عدله فاقيم السبب مقام المسبب وهذا قبل الامر بالقتال ثم انه
تعالى

٢١٩

تعالى ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله اي الملك الاعظم التي تقدم عد بعضها في
هذه السورة وغيرها ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقيل نعمة الله يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وهو اعظم النعم التي انعم الله تعالى
بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه واختلف في معنى قوله تعالى
واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الاول انما قال
تعالى واكثرهم لانه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف
او كان ناقص العقل فاراد بالاكثر البالغين الاصحاء الثاني ان يكون المراد
بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق
الرسول وما ظهر له كونه نبيا حقا من عند الله الثالث انه ذكر الاكثر والمراد
الجميع وهذا كقوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ولما بين تعالى من حال
القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وذكر ايضا من حالهم ان اكثرهم كافرون
اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيمة بقوله تعالى ويوم اي وخوفهم يوم
او واذكر لهم يوم نبعث بعد البعث من كل امة شهيدا هو نبيها كما قال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
يشهد بينها لها وعليها يوم القيمة ليحكم تعالى بقوله اجراء للامر على ما
يتعارفون وان كان تعالى غنيا عن شهيد وقوله تعالى ثم لا يؤذن
للذين كفروا فيه وجوه احدها لا يؤذن لهم في الاعتذار كقوله تعالى ولا
يؤذن لهم في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف رابعها لا يؤذن لهم في
حال شهادة الشهود بل يسكت اهل الجمع كلهم ليشهد الشهود فان قيل
ما معنى ثم هاهنا اجيب بان معناها انهم يمتحنون اي يقبلون بغير
م شهادة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما هو اعظم منها وانهم يمنعون الكلام
فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة ولا هم يستعتبون اي لا
تزال عتباهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال استعتبت فلانا

Copyright © King Saud University